

دور الغنائم البحرية في النشاط الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني

The role of marine spoils in the economic activity of Algeria during the Ottoman era.

Le rôle des déblais marins dans l'activité économique de l'Algérie à l'époque ottomane.

صفاح بوعلام¹*

تاريخ النشر: 2023/12/15

تاريخ القبول: 2023/04/15

تاريخ الإرسال: 2022/12/16

ملخص:

الغنائم البحرية أهم ما جلبه البحارة الجزائريون خلال العهد العثماني، إضافة إلى الأسرى فقد تحصلوا على مواد وسلع مختلفة، كان لها دور وتأثير في مختلف الأنشطة الاقتصادية داخل الجزائر، حيث اعتمد الجزائريون على الأسرى في القيام بالأعمال والمهن المختلفة كالعامل داخل القصور والبيوت والقيام بالأعمال المنزلية، كذلك كلفوا بالتجديف والحماله والأعمال العامة، في حين امتنهن البعض منهم خاصة فئة الأعلاج تجارة الأسرى كما قاموا بربط علاقات تجارية مع مختلف الدول والغرف التجارية الأوربية، أما السلع والمواد المحجوزة فكانت تعتبر مصدرا لتمويل الأسواق.

الكلمات المفتاحية: الغنائم البحرية، الدور الاقتصادي، إيالة الجزائر، الأسرى المسيحيين.

Abstract :

Marine spoils are the most important thing brought by Algerian sailors during the Ottoman era, in addition to the prisoners, as they obtained various materials and commodities, which had a role and influence in various economic activities inside Algeria, as the Algerians relied on the prisoners to do various jobs and professions, such as working inside palaces and houses and doing housework. They were also assigned to rowing, porters, and public works, while some of them, especially the treatment group, traded captives. They also established commercial relations with various countries and European chambers of commerce. As for the seized goods and materials, they were considered a source of financing for the markets.

Keywords: Naval spoils; the economic role; the province of Algeria; Christian prisoners.

Résumé :

Le butin marin est la chose la plus importante apportée par les marins algériens à l'époque ottomane, en plus des prisonniers, car ils ont obtenu divers matériaux et marchandises, qui ont eu un rôle et une influence dans diverses activités économiques à l'intérieur de l'Algérie, car les Algériens comptaient sur les prisonniers. Pour exercer divers travaux et professions, comme travailler à l'intérieur des palais et des maisons et faire des travaux ménagers. Ils étaient également affectés à l'aviron, aux porteurs et aux travaux publics, tandis que certains d'entre eux, en particulier le groupe de traitement, faisaient le commerce des captifs. Ils ont également établi des relations commerciales

* دكتوراه تخصص الدور الحضاري للجزائر خلال العصور الوسطى والحديثة جامعة جيلالي بونعامه خميس مليانة . boualem.seffah@univ-dbkm.dz

¹ Doctorat spécialisé sur le rôle civilisationnel de l'Algérie à l'époque médiévale et moderne, Université Djilali Bounaama Khemis Miliana. boualem.seffah@univ-dbkm.dz

avec divers pays et chambres de commerce européennes Quant aux biens et matériels saisis, ils étaient considérés comme une source de financement pour les marchés.

Mots-clés : butin naval ; le rôle économique; la province d'Algérie ; prisonniers chrétiens.

مقدمة :

شكلت الغنائم مورداً مالياً أساسياً لخزينة الدولة من خلال العائدات المالية لافتناء الأسرى المسيحيين في الجزائر، كما أن الغنائم البحرية المادية كان للخزينة نسبة فيها، وإن تطرقنا إلى دور الغنائم البحرية في تنشيط وتفعيل مختلف الأنشطة الاقتصادية والتجارية، حيث وفر الأسرى يد عاملة رخيصة، وامتهن الأسرى والأعلاج منهم بعضاً من المهن وأقاموا علاقات تجارية مع دول خارجية، الهدف من الدراسة هو الخوض في تفاصيل الغنائم البحرية التي تمثل مظهر لقوة الجزائر السياسية والعسكرية، وهذا من خلال إبراز دور وتأثير الغنائم البحرية في اقتصاد إيالة الجزائر في مختلف النشاطات، وتسليط الضوء على المهام والأعمال التي امتهنتها الأسرى المسيحيين، ودورهم في تنشيط التجارة في إيالة الجزائر، وعليه نطرح التساؤل التالي: كيف أثرت الغنائم البحرية في الأنشطة الاقتصادية والتجارية داخل إيالة الجزائر؟

2- مهن وحرف الأسرى المسيحيين في الجزائر:

يصنف الأسرى حسب مهنتهم والأعمال التي كلفوا بها فيشكلون أربعة مجموعات وهي: الحرفيون والملاحون، الحمالون والمكلفون بالأشغال العامة (شويتام، 2006-2007، صفحة 141).

2-1 مهن الحمال والأشغال العامة: استخدم الأسرى المسيحيين في كل النشاطات بمدينة الجزائر، حيث كانوا يشتغلون في ظروف وأعمال قسرية لعدم رغبة الجزائريين للقيام ببعض الأعمال مثل التجديف في سفن البحارة أو العمل في المناجم ومشاريع البناء (Friedman, 1980, pp. 618-619)، ويتم توجيه الأسرى المتواجدين في السجون للعمل في وظائف مختلفة كل صباح في المعسكرات والثكنات وسحب الأمتعة وتأدية الأعمال في قصر الداى، أما الأعمال العامة فتركز في الغالب على تحطيم الجدران وكسر الصخور وسحب العربات المحملة بمستلزمات البناء (Morgan, 1736, pp. 44-45).

فوجد ميناء مدينة الجزائر الذي استغرق بناءه ثلاث سنوات قد سخر له خير الدين بربروس الأسرى المسيحيين الذين قاموا ببنائه بواسطة الصخور التي نقلوها من مدينة تامنفوست القديمة والتي تقع في الضفة الشرقية لخليج مدينة الجزائر (حليمي، د.ت، صفحة 170)، وكان تعزيز الساحل لحماية الميناء من الرياح أحد المشاريع التي تتطلب عمل السخرة بشكل مستمر، الأمر الذي يدفع الأسرى إلى العمل في معامل الحجارة التي تبعد حوالي ميلين عن مدينة الجزائر وحمل الحجارة في عربات وجرها إلى الميناء، وعن ظروف عمل الأسرى ما أكده أحد الضباط الإسبان الساميين يدعى دون بالتسار هيرنانديز دي ريفادينيلا "Don Balthasar Himandez De Riva De Neyral"، والذي كان أسيراً بمدينة الجزائر، وتم مبادلته مقابل ابن حاكم تلمسان الذي كان أسيراً في إسبانيا سنة 1680م أنه خلال فترة أسره اشتغل يومياً في جر عربات محملة بالحجارة، وأضاف أنه كان دائماً يرتدي سلاسل تزن حوالي 50 باوند أثناء عمله

(Friedman, 1980, p. 621)، كذلك نجد مراسلة لمجموعة من تسعة عشر أسيرا إسبانيا في سنة 1736م، وهم ضباط وجنود يتدمرون من العمل في الجزائر، حيث أكدوا أنهم منذ ثلاث سنوات لا يتحركون من دون سلاسل ضخمة، وفي هذه الفترة عملوا على تعزيز الميناء حيث يقومون بأربع رحلات يوميا يسحبون فيها عربات محملة بالحجارة من المحجر إلى الميناء، كما يذكر كروكر " ... في اليوم الموالي من وصوله إلى المدينة، توجه إلى معمل الحجارة أين شاهد الأسرى المسيحيين يمشون مع البغال إلى المعمل تحت إمرة أسيادهم الجزائريين (Walter, 1816, p. 04)، حيث يقوم 300 أو 400 عبدا أو أحيانا عددا أكبر بدرجة إحدى هذه الحجارة فوق عربة أو عربة ذات أربع عجلات من أجل نقلها إلى المرفأ (تابايت، 2007، صفحة 264).

كان الأسرى يعملون في الموقع من الصباح إلى الليل، ففي جويلية 1719م تم جلب خمسة أسرى إلى مستشفى الثالث المقدس ممن كانوا يسحبون الحجارة، وأكدت التقارير أن الماء الموجود بالمحجر كان سيئا، إضافة إلى سوء التغذية والإجهاد وبحلول 10 أكتوبر 1719م، كان هناك ستة وأربعون أسيرا بالمستشفى جلبوا من معمل الحجارة، وفي 15 أكتوبر توفي أحدهم وهو إسباني يدعى خوسيه نيكولاس " Jose Nicolas " . (Friedman, 1980, p. 622).

كان يمكن حتى القناصل أن يعملوا بالمحجر ويسحبوا الحجارة؛ خاصة إن حدثت مشاكل بين دولهم والجزائر حيث يذكر الزهار " ... و لما اخذ الفرنسيون مصر وبلغ خبر ذلك إلى مصطفى باشا، استدعى القنصل الفرنسي وأمر أن يجعلوا قيد الحديد برجله وأن يخدم الحجر مع الأسرى، واستدعى جميع قناصل فرنسا الذين بالجزائر عناية ووهران وعندما قدموا وضع القيود في أرجلهم مثل صاحبهم يخدمون الحجر " (الزهار، 1974، صفحة 76)، كما كلف الأسرى بحمل السلع ويذكر جيمس ستيفن في هذا الصدد: " ... فالعبيد الذين يباعون داخل البلاد يخضعون لأعمال شاقة والغير معهودة فهم ملزمون بنقل كل أنواع الأعباء إلى السوق " (تابايت، 2007، الصفحات 262-263).

2-2 مهن الملاحه والتجديف: أصعب الأعمال إرهاقا بالنسبة للأسرى هي التجديف، حيث كانت السفن الجزائرية تضم ما بين 18-24 مقعد تجديف، ويتطلب كل منها من 3 إلى 5 رجال، أما السفن الصغيرة فكانت تحتاج لعدد أقل مثل البرغنتين " Brigantines " التي تضم بين 08-13 مقعد تجديف، أما قوارب البحارة كانت تتطلب في بعض الأحيان 240 مجدفا، كان رياس السفن يمتلكون عدد من الأسرى، إلا أنهم في بعض الأحيان لا يكفون لإدارة سفنهم، وإذا كان داي الجزائر شريكا في الرحلة كما هو الحال غالبا، فان ذلك سيوفر بعض الأسرى المجدفين الإضافيين (G.A, 1817, p. 336)، حيث يقوم الداوي بإرسال بعضهم إلى البحر ويترك لهم الثلث من حصتهم في الغنيمة بينما يأخذ الباقي (Morgan, 1736, pp. 44-45)، كما يستأجر قباطنة السفن المجدفين (Friedman, 1980, pp. 618-619)، حيث يستأجر هؤلاء الأسرى من تجار اعتادوا القيام بهذا العمل، ويختار الرياس أكثر الأسرى قوة وصلابة فيأخذ منهم عددا يتراوح بين عشرة وخمسة عشر أسير للغليظة الواحدة مقابل أن يدفع اثني عشر ريبالا للأسير الواحد عن كل رحلة بحرية (Haedo, 1870, p. 77).

كما يقوم الداوي باستثناء النجارين والجلافة والحدادين من بين الأسرى ليؤجرهم لملاك السفن مقابل مبلغ مالية (G.A, 1817, p. 336)، وبعد عودة البحارة إلى مدينة الجزائر يحمل المجدفون مجاديفهم إلى مخزن البايك القريب من الميناء أين

يتم حفظها بعناية، كما يحرص الرياس في هذه الأثناء على مراقبة الأسرى تفاديا لهروبهم والذين قد يستغلون انشغال هؤلاء بتنظيم الأمتعة (Haedo, 1870، صفحة 83).

كما كان الأسرى يعملون على بناء ترميم السفن والقديمة منها، أو التي تعرضت بعض أجزاءها للتدمير أو التلف، وكان خير الدين بربوس أول من استخدم الأسرى المسيحيين لهذا الغرض ففي سنة 1530 م استعان بحوالي سبعة آلاف أسير مسيحي في بناء وإصلاح السفن (بوعزيز، 1985، صفحة 39)، ويعتبر العمل في الورشات البحرية أقل الأعمال شقاء بالنسبة للأسرى "... فعمل البحرية اقل تعباً بالنسبة للعبيد، ولكنه حتى هنا يخضعون في وقت ما إلى أعمال شاقة، خاصة عندما يكون استعداد لحملة قرصانية وفي هذا الظرف يجبرون على العمل ليلاً للقيام بالتحضيرات الضرورية للطواف ويضاء الشاطئ بمصابيح و يتمركز حراس الأتراك عند المرفأ وفي أجزاء أخرى لمنع هروبهم (تابايت، 2007، صفحة 268).

2-3 الأسرى الحرفيون: اشتغل الكثير من هؤلاء الأسرى في صناعة بعض الألعاب الخشبية وكرائها للأطفال خاصة في رمضان (Davis, 2006, p. 167)، كما عمل الأسرى بصفتهم كتاب أو مساعدين في المتاجر والمحلات، وسمح لبعضهم بإنشاء مشاريع خاصة والتي كان عليهم أن يدفعوا لمالكهم نسبة من الأرباح، أما الأسرى أصحاب الحرف كالنجارين والبنائين فكانوا ذا قيمة مرتفعة، وإن بعض من ملاك كانوا يمتلكون أسرى أصحاب حرف في نجارة و بناء السفن وصناع المدافع وكانوا غالباً ما يعاملون معاملة حسنة (Friedman, 1980, pp. 623-624).

كان الحرفيون أمثال الحدادين والبنائين والنجارين وصانعي الأشرطة، يتوجهون في الصباح إلى الورشات لأداء أعمالهم، كما كان هناك عدد من هؤلاء الأسرى يرسلون إلى القنصليات ومستشفيات المسيحيين والإرساليات والثكنات الانكشارية للقيام بأعمال الصيانة والتنظيف (شويتام، 2006-2007، الصفحات 141-142)، كما تم السماح للأسرى باكتراء الحانة الموجودة في السجن، عندما يملكون مالا كافياً لإدارتها أو يقومون بتأجيرها لليهود الذين يشتركون مقابل 3 و 4% من الأرباح شهرياً، مقابل منح مبالغ ضخمة للداي سنوياً مقابل الخمر الذي باعوه (Morgan, 1736, p. 45)، فيذكر كاثكارت أنه كان يسمح للأسير في سجن جالير بتسيير حانة السجن ولا يدفع نصف الرسوم المقررة وشرائي حانة في السجن هو الذي مكنته من الحصول على المال (العربي، 1982، صفحة 128).

كان يشرف على تسيير الأشغال داخل الورشات ورؤساؤها عدد من الأسرى المسيحيين، حيث كانت تدفع لهم الدولة مرتبات مالية تتراوح بين الستة والعشر ريالاً للشهر الواحد، علاوة على ذلك فأنتهم يحصلون على بعض الهدايا من طرف الرياس على سبيل تشجيعهم، وذلك في اليوم الذي يركبون فيه الأشرطة على صاري السفينة وتتمثل هاته الهدايا في نقود وحلي و ملابس التي يمكن بيعها (Haedo, 1870، صفحة 75).

2-4 مهام أخرى للأسرى المسيحيين:

مارس الأسرى المسيحيين مهام أخرى مثل العمل في الفلاحة من حراثة الأرض ورعي الأغنام وجمع الحطب فيذكر جيمس ستيفن "... فالبعض من هؤلاء العبيد يمشي في الحقول حافياً القدمين حيث يرعى الأغنام و جر المحراث" (تابايت، 2007)، ويضيف جون ب وولف "... كان البعض يعملون في الحدائق والبساتين التي تحيط بأحواش الطبقة الغنية والواقعة

خارج مدينة الجزائر، وكان آخرون منهم يحملون الماء وغيره من الأحمال وأساء حالة هم أولئك المساكين الذين اشتراهم المزارعون الذين كانوا يمدون مدينة الجزائر بالحبوب والخضر؛ فقد كانوا كثيراً ما يعملون فوق الطاقة" (ب. وولف، 2009، الصفحات 229-230). ويشير جيمس ستيفن "... يطلب من جميع الأسرى الذهاب إلى الريف لقطع الخشب مرة في كل سنة ويحصل ذلك غالباً، ويستعمل هذا القصب غالباً لغرض القدد الخشبية في منازلهم (تابايت، 2007، صفحة 291).

وكان يمكن للأسرى ممارسة الوظائف المنزلية (Friedman, 1980, pp. 618-619)، وتطلق تسمية النوباتجي على الأسرى العاملين في المطبخ حيث يشرف عليهم الطاهيان الكبيران اللذان لا يغادران منزل الداوي، ولا يصل إلى هذا المنصب إلا من كان محل ثقة (Paradis, 1898, p. 115)، كما أسندت إلى بعضهم مهمة تنظيف الغرف وإلى البعض الآخر غسيل الثياب وإلى آخرين مهمة الداوي والاعتناء بحجرة ملابسه (تابايت، 2007، صفحة 73)، وكان يشتغل في منزل الداوي أربعون أسيراً مسيحياً، سواءً في الطابق السفلي أو العلوي، ويكلف اثنان منهما بالقيام بالكفس فيشتغل أحدهما في الطابق السفلي والآخر في الطابق العلوي (Paradis, 1898, pp. 114-115).

وعلى إثر قرار القاضي بإبطال القرصنة تضاعف استعمال الأسرى في الصناعات التقليدية والأحواش، كما توقف استغلال اليد العاملة واقتناؤها بقيم زهيدة، والأسرى المسيحيون الذين عاشوا إلى فترة ما قبل تدمير الجزائر بقصف اللورد اكسموث سنة 1816م، كانوا من المشرفين على السجون الحكومية والذين كانوا يشتغلون في الأشغال العمومية (بريان و آخرون، 1984، صفحة 159).

3- دور الأسرى في النشاط التجاري:

إن عدداً كبيراً من الأسرى المسيحيين (الأعلاج) كانوا يشتغلون في تجارة الأسرى، كما كان أغلبهم بحارة وقادة عسكريين حيث يذكر ديدجون (Dudgean) "... نزلنا في اليوم الموالي في خليج الجزائر أين جاء ضباط الداوي لإلقاء نظرة على الغنائم القادمة، وكان بينهم مرتد إيطالي كانت له ثورة طائلة كان هذا الرجل تاجر في الأسرى" (Dudgeon, 1894, p. 14)، كان يلقب بـ "علي بتشين" أحد كبار أغنياء المدينة خلال القرن السابع عشر الميلادي، كان يملك منزلين فاخرين الأول يقع أسفل المدينة أما الثاني فيقع بالقرب من البحر (Haedo, 1870، صفحة 178)، حيث يذكر عنه مقولة: "... أنا أشتري العبيد للحصول على بعض الفوائد" (Davis, 2006, p. 125)، كذلك صادفت ماريا مارتين أثناء عملية بيعها في السوق بمدينة تنس العديد من الأعلاج المتهنين تجارة العبيد حيث تقول: "... يتجمع كثير من المزايدين، من بين هؤلاء استطعت أن أميز العديد من بلدي، ... حيث أوصي بي كعبدة للروسي (Martin, 1807, pp. 47-48).

ومن المهن التي مارسها الأعلاج خلال القرن السادس عشر الميلادي مهنة صياغة الذهب رغم عددهم القليل بسبب احتكار اليهود لهاته الحرفة (Haedo, 1870، صفحة 108)، كما مارسوا معظم الحرف اليدوية الموجودة في مدينة الجزائر مثل حرفة الخياطة وصناعة الأحذية وصناعة البارود... (Haedo, 1870، صفحة 93)، كما إمتهن الأعلاج

وأبناء الأعلاج التجارة علما أن فئة التجار كانوا يحتلون المرتبة الخامسة في المجتمع الجزائري، وحظي بعض الأعلاج بثقة التجار الجزائريين فسلموهم إدارة محلاتهم ودكاكينهم (Haedo، 1870، صفحة 89).

وقد استعان القناصلة الفرنسيين بالأعلاج الذين يتقنون العربية، حيث استخدم القنصل الفرنسي D'Avrieux عند وصوله الجزائر والذي كان في استقباله M.Lavacher Vicaire، والمترجم سيدي علي وهو من الأعلاج (Chevalier، 1735، p. 80).

كما كان من الأعلاج مهندسون معماريون ساهموا في وضع مخططات وبناء القلاع والحصون مثل برج مولاي حسن الذي وضعه القايد رمضان وهو عالج يوناني، إضافة إلى برج محمد باشا الذي تم بنائه في سنة 1568م، حسب مخططات العالج مصطفى الصقلي (Haedo، 1870، الصفحات 34-36)، وإن بناء الجامع الحنفي الكبير المسمى الجامع الجديد في سنوات 1660م هو من تصور وتحقيق معلم معماري من العالج اشرف على البناء حتى نهايته ولكن التصور والطابع العام للجامع الجديد هو طابع عثماني بحت (مروش، 2009، صفحة 361).

كانت الدولة محتاجة كثيراً لأصحاب المواهب في الجانب العسكري، فيوظف العالج حسب مؤهلاته: "... ففي سنة 1819م أعطى حاكم إحدى مقاطعات وهران الصلاحية للعالج علي منات لصناعة كمية ضخمة من البارود هذه الموهبة جعلته مقرباً وأحد أهم وزراء الحاكم" (Dumont's Captivity in Africa، 1820، p. 209).

4- دور الأسرى المسيحيين في العلاقات التجارية الخارجية:

كان عدد كبير من الرياس الذين من جنوب فرنسا يتدخلون لتسهيل بعض الصفقات التجارية أو بعض العقود لبعض أقاربهم الأوربيين، مثل توماس لانوش وأخيه أنطوان وشريكهما الذين تحصلوا على امتيازات للشركة الفرنسية في شمال إفريقيا سنة 1560 (Roux، 1918، p. 62)، ولتسهيل عمله استعان لانوش بالأعلاج من أصل كورسيكي، ومن إقليم بروفانس أو الأقارب والأصدقاء الموجودين في الجزائر مثل قائد مدينة عنابة وهو من أصل كورسيكي مقابل الحصول على هدايا ومبالغ مالية (Masson، 1908، p. 96).

وفي عام 1561م أنشأ أول مركز تجاري في القالة وهو أصل تأسيس المؤسسات الفرنسية في الجزائر الذي بموجبها تحصلت على حق امتياز صيد المرجان (Galibert، 1844، p. 217)، كما قام عالج علي بنزع حق احتكار المرجان بمركز القالة من الفرنسيين بسبب تماطلهم وتخلفهم عن دفع الضرائب لثلاث سنوات مضت ولتصرفاتهم في المنطقة، وأعطى حق الاحتكار للإنجليز سنة 1569م (الجيلالي، 1986، صفحة 97).

5- تجارة الأسرى المسيحيين في الجزائر:

لم يكن المسلمون في المغرب الإسلامي بمعزل عما كانت تدره النخاسة على تجارة الأوربيين، لذلك وجهوا اقتصاد مدينة الجزائر نحو تجارة الرقيق والعبيد المسيحيين بصورة خاصة، إلا أن الجزائر لم تكن لها مستعمرات تصرف فيها هؤلاء العبيد، فاحتفظت بهم في الجزائر حتى تبادلهم بالنقود مع حكوماتهم (سعيدان، 2018-2019، صفحة 165)، وكتب سالفاغو تقرير حول أنظمة القراصنة الجزائريين وطرق نشاطهم والتجارة بتلك المدينة، ملاحظاً أن معظم المبادلات التجارية مع بلدان

أوربا كان يقوم على القرصنة البحرية نفسها، ذلك أن غنائم السفن المسيحية كانت تباع لتجار المسيحيين، فترسل إلى ليفورن لإعفائها من رسوم الجمارك ومن هناك توزع على كافة المدن الإيطالية (بونو، 1972، صفحة 117).
أما الأسرى فكان يشترونهم أشخاص متخصصون بغية الحصول على أرباح مضاعفة في تجارتهم، حيث يذكر الشريف الزهار "... وكانت الغنائم تباع بباب إستان فيقع للتجار ربح قوي، وكان السماسرة يُنادون على الأسارى، وقيمة كل أسير مائتا دورو فكان الناس يملكونهم مدة ما أقاموا أسارى فإذا أتى الفداء يفتدوهم بألف دورو لكل رأس (الزهار، 1974، صفحة 27).

وقد أورد الطبيب الرحالة الفرنسي بايسونال ملاحظة في شأن أسواق الأسرى وقال بأنه المكان الذي تباع فيه الأشياء المستولى عليها وهي تعود في الأصل إلى الداي أو الدولة، وذكر أيضا بأنها تباع في دكاكين محاطة بسور (بلعمري، 2016-2017، صفحة 308).

ينقل الأسرى إلى البادستان أو سوق العبيد حيث يقوم السماسرة بعرض مهنة ونوعية وسعر الأسير ليتم البيع عن طريق المزيدة آخر مزاید، ليقوم كاتب البيع بتسجيل سعر الأسير، وكون البيع الأول للأسرى خاصا بالملاك وطاقم السفينة، أما البيع الثاني يكون مرتفعا نوعا ما لأنه يتعلق بالبايلك ومن البيع الثاني يتم تحديد السعر الخاص بالأسرى (Morgan, 1736, pp. 221-222)، وعن طريقة بيع الأسرى فكانوا يساقون أعلى وأسفل السوق وإذا صادف وعرض تاجر أي مال يصرخون مباشرة "Arache" أراش أراش والتي معناها عرض الكثير من المال هنا، من يعرض أكثر؟ وكانت تتم عملية البيع حيث ينظرون في البداية إلى أفواههم ووسامتهم وقوتهم، وتزيد سلامة الأسنان من سعر الأسير، ويعتبر السن مهما جدا، كما يتم فحص الأيدي من ناحية الخشونة والقوة، حيث يستطيعون التمييز إن كانت تصلح للعمل أما إذا ما كانت رقيقة ولطيفة، فيعتقدون أن الأسير غني أو تاجر ما يدفعهم لشراؤه من أجل الفدية (Okeley, 1575, pp. 09-11).

ويشير جون وولف إلى أن أعداد الأسرى المسيحيين الذين كانوا يباعون في أسواق مدينة الجزائر بين سنوات 1520 و1660م كان يتراوح بين خمسمائة وستمائة ألف نسمة؛ غير أن ذلك الرقم يبدو عاليا جدا لأنه يتطلب أسر حوالي أربعة آلاف أسير في السنة ومع ذلك فانه من المحتمل أن يكون حوالي أربعمائة ألف أسير قد بيعوا خلال هاته الفترة (ب.ب. وولف، 2009، صفحة 207)، واتسع نشاط التجار الأندلسيين وبخاصة بيع الأسرى المسيحيين (هالايلي، 2002، صفحة 318)، حيث استفادوا من مداخيل الجهاد البحري وبيع الأسرى، وجعلوا من تجارة النخاسة بضاعة مربحة لأنهم عاملوا الإسبان بقسوة، فلا غضاضة إن تعتبر الجالية الأندلسية بفضل اتساع نشاطها المالي في مدينة الجزائر وبفضل خبرتها التجارية أن أصبحت النخبة المدبرة لشؤون الجهاد البحري بتمويلها للسفن والرجال ومبادلة الأسرى (هالايلي، القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان، 2007، صفحة 246).

6- توفير السلع والمواد للسوق:

تعد الغنائم البحرية العمود الفقري لاقتصاد مدينة الجزائر لما توفره للأسواق من البضائع التي يتم حجزها والاستيلاء عليها وجلبها إلى مدينة الجزائر (العبيدي، 2017، صفحة 129)، وكانت الجزائر تنتقي من غنائم القرصنة كل ما قلت صناعته

لديها من أسلحة وأقمشة وحرائر، وما كانت في حاجة إليه من أخشاب وتوابل وعقاقير وبياع الباقي من خمور وزيتون ولحوم إلى التجار اليهود الذين تعودوا على الاحتكارات، وبيع هذه المحرمات في الديانة الإسلامية بفوائد خيالية قد تصل إلى 400 مثل إلى الأوربيين المقيمين في الجزائر، وإلى التجار المسيحيين المتنقلين بين أسواق الجزائر وأوروبا، أو يصدرونها إلى مدينة ليفورنه بإيطاليا أو إلى مرسليليا وهي أهم المدن التجارية بأوروبا (حليمي، د.ت، صفحة 290).

كانت الغنائم تتكون حسب جيمس ستيفن من مواد ذهبية أو فضة وأنسجة حريرية مرسمة وأقمشة وتوابل وحديد وقصدير وأواني نحاسية ورساوص وزئبق وحبال السفينة وقماش القلوع ودودة القرمز والكتان والطراير والأرز والسكر والصابون والقطن الحام والفتلة كبريتية، الحديد والصبرة المرة وخشب البرازيل الأحمر والزنجفر.. الخ. (تابايت، 2007، صفحة 170).

كما تمكن أحد الرياس الجزائريين في سنة 1635م من الاستيلاء على سفينة النابولي الكبير، وعليها حمولة من القمح وعشرة آلاف زوج من جوارب الحرير وعشرون كيسا من خيوط الذهب، و76 مدفعا. (تشرة، 2009، صفحة 678) كما نجد في المراسلة أنه في سنة 1639م استولى بحارة الجزائر وتم حجز سفينة من مارتينغ "Martigues"، والتي كانت تحمل بضائع تمثلت في الزيت وفول الصويا (Grammont, 1879, p. 441)، وبعد تولي الداوي مصطفى باشا الحكم أمر بتجهيز خمسة مراكب جهادية، فغنموا ثمانية عشر مركبا مليئا بالقمح ومختلف أنواع البضائع ونزلوا بها ميناء الجزائر (العبيدي، 2017، صفحة 62).

كما شاهد توماس هيز أيام إقامته في مدينة الجزائر سفينة جاءت من البرازيل وهذه السفينة كانت تابعة للبرتغال تم الاستيلاء عليها واقتيادها إلى مدينة الجزائر واحتوت حمولتها 236 كيس سكر و400 كيس تبغ برازيلي و4 أكياس كاكاو إضافة إلى بعض أنياب الفيلة (Hees, 1957, p. 119)، وفي سنة 1813م استطاع الرياس أن يغنموا من المراكب اليونانية عشرون مركبا مشحونا بالقمح والسلع المختلفة (تشرة، 2009، الصفحات 678-679)، وفي شهر يوليو 1814م استولى البحارة الجزائريين على سبعة سفن سويدية واقتادوها إلى ميناء الجزائر، كانت شحنات أربعة من هذه السفن تتكون من الأقمشة والملح والقهوة والسكر، وقد استولت عليها السلطات الجزائرية (جوليان، 1983، صفحة 144).

طبيعة غنائم البحرية المادية بين سنوات 1747 – 1750م (Odegaard, 2016, p. 109):

التاريخ	جنسية السفن المحجوزة	طبيعة الغنيمة
10 نوفمبر 1747	حمولة سفينة نابولية	200 رصاصة
		150 كرات من الفلفل الأسود ب وزن 350 لكل واحدة
		30 برميل من القرنفل
		15 برميل من خشب البرازيل
		42 بالة من الجلود المدبوغة
		700 من الرصاص

15 برميل من الكينة	
7 صندوق من	
12 صندوق من القضبان الهندية	
15 قبعات	
30 برميل أدوات حديدية	
08 ساعات كبيرة	
08 ديتي للموسيقى	
23 أوت 1749	سفينة إنجليزية
	النقود والمجوهرات (العملات الذهبية والماس)

14 جانفي 1750	سفينة برتغالية متجهة للبرازيل	سلع ومواد مختلفة:
	الصوف القماش الأربطة غالون من الذهب والفضة	
	الملح قضبان من الحديد والنيبيذ والبراندي	

التعليق: الملاحظ من خلال الجدول هو تنوع المواد والسلع المستولي عليها فمن مواد ثمينة إلى مواد غذائية قماش وألبسة، هاته المواد المحجوزة التي تُمن بها أسواق مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

7- خاتمة:

ساهمت الغنائم البحرية بشكل مباشر في تنشيط اقتصاد الدولة حيث وفرت اليد العاملة فقد امتهن الأسرى المسيحيين مختلف المهن والحرف، حيث زادت أهميتهم مع مرور الوقت، فاشتغل بعضهم في الصناعات والحرف اليدوية، كما كلف بعضهم بالمهام المنزلية من تنظيف وخدمة الأسياء، إلى القيام بجمع الحطب والعمل في الفلاحة والرعي. تطورت تجارة الأسرى بشكل كبير حيث اعتبرت مدينة الجزائر مركزا مهما في البحر المتوسط لتجارة الأسرى والعبيد، وقد امتهن هذه المهنة أسرى سابقين والأعلاج، حيث تعتبر تجارة مهمة ومربحة للدولة ولملاكلهم، وانتشرت بمدينة الجزائر أسواق الأسرى ونظمت بشكل محكم التنظيم.

شكل الأعلاج أهم فئة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني لامتلاكهم أعداد كبيرة من الأسرى المسيحيين، كما لهم دور كبير في ربط علاقات تجارية مع الدول الخارجية خاصة تلك مسقط رأسهم.

شكلت الغنائم البحرية المادية واردات خارجية للدولة من مختلف المواد والسلع، في حين أن السلع المحرمة تجد طريقها لإعادة تصديرها، وأن تقلص عائدات النشاط البحري تباعا، حيث شكلت معاهدات السلام مع الدول المسيحية عائقا كبيرا لنشاط الأسطول البحري وبالتالي تقلص الموارد المالية لإيالة الجزائر.

قائمة المراجع:

- Chevalier, A. (1735). Mémoires du chevalier d'Avrieux mis ordre par le R.P. Jean Baptiste Labat. Paris: Delspine Le Fils.
- Davis, R. (2006). Chrétiens, Maitres Musulmans, l'esclave Blanc En Méditerranée 1500-1800. London: Jacqueline Chambon.
- Dudgeon, M. (1894). Atrue Relation of the Travels and perilous Adventures of Mathew Dudgeon, Gentleman: wherein is truly set down the manner of his Taking, the longtime of his slavery in Algiers and means of his Delivery. Lodon: Longmans. Green and Co.
- Dumont's Captivity in Africa. (1820, April). Spirit Of The English Magazine, pp. 210-232.
- Friedman, E. G. (1980). Christian captives at " Hard Lard « in Algiers, 16th-18th centuries, the International Journal of African Historical studies. 04, 618-619.
- G.A, J. (1817). Algiers, Being A Complete Picture of the Barbary Statesm Their Government, Laws, Religion and Natural Productions; and Containing a Short of Their Various Revolutions, A Description of the Domestic Manners and Customs of the Moors, Arabs and Turks. London: Printed by R.Edwards.
- Galibert, L. (1844). L'Algérie Ancienne et Moderne. Paris: Libraire.Editeurs.
- Grammont, H. D. (1879). Relations Entre La France Et La Régence D'Alger XVIII Siècle. Reviue Afriquanne, 390-460.
- Haedo, D. D. (1870). Topographie et Histoire générale d'Alger. Paris: Mounreaut Et Berbrugger.
- Hees, T. (1957). Journal Dun Voyage À Alger (1675-1676). La revue africaine, 98-126.

- Martin, M. (1807). A true Relation of the captivity and sufferings of Mrs. Maria Martin who was six years a slave in Algiers. Boston.
- Masson, P. (1908). Les Compagnies Du Corail. Paris: Fintemoing Editeur.
- Morgan, J. (1736). Several Voyage to Barbary containing an Historical and Geographical Account of the country, with the Hardships, Sufferings and Manner of Redeeming Christian slaves. London: Printed For Oliver Payne.
- Odegard, T. (2016). les Correspondances de Ludolf Hammeken le premier consul Dano- Norvégien à Alger 1746-1751. Alger: ENAG. Editions.
- Okeley, W. (1575). Ebn –Ezer: Or, a small Monument if Great Mercy, appearing in the Miraculous deliverance of William Okeley, John Anonym, William Adams, John Jcphs, John Carpenter, from the Miserable slavery of Algiers with the wonderful means of their escape in A Beat of. London: Printed For Nat.
- Paradis, V. d. (1898). Alger au XVIII siècle. Alger: Impeneur Libraire.
- Roux, F. (1918). France Et Afrique Nord Avent 1830. paris: Libaire Felex Algan.
- Walter, C. (1816). The Cruelties' of the Algérienne Pirates, shewing the present Dreadful state of the English slaves, and other Europeans at Algiers and Tunis with the Horrid Barbaritie Inflicted On Christian Mariners Shipwrecked On the North Western Coast of Africa and Ca. Lonon: Pritedfor W.Hone.
- أحمد شريف الزهار. (1974). مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر. الجزائر: ذخائر الغرب الاسلامي.
- ارزقي شويتام. (2006-2007). المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني. الجزائر: جامعة الجزائر.
- اسماعيل العربي. (1982). مذكرات أسير الداوي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- المنور مروش. (2009). دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة، الأساطير والواقع. الجزائر: دار القصبه للنشر.
- أندري بريان، و آخرون. (1984). الجزائر بين الماضي والحاضر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- تشرة، خ. ا. (2009). النشاط البحري للأسطول الجزائري خلال العهد العثماني. اعمال الملتقى الدولي الموانئ عبر العصور (652-680) الجزائر: منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الاوسط.
- توفيق دحماني و نوري العبيدي. (2017). إيالة الجزائر العثمانية، بين موارد البحر والضرائب. مجلة الملوية للدراسات الاثرية والتاريخية.
- جون .ب.وولف. (2009). الجزائر وأوروبا (1500-1830). الجزائر: دار الرائد.
- حليمي عبد القادر. (د.ت). مدينة الجزائر نشأتها وتطورها ما قبل 1830م. الجزائر: د.د.ط.
- حنيفي هلايلي. (2002). الحضور الاندلسي بالجزائر على ضوء سجلات المحاكم الشرعية. المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، 302-325.
- حنيفي هلايلي. (2007). القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان. مجلة الاداب ةالعلوم الانسانية، 251/221.
- سلفاتور بونو. (1972). العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد العثماني. مجلة اصالة، 126/109.
- شارل اندري جوليان. (1983). تاريخ إفريقيا الشمالية. تونس : الدار التونسية للنشر.
- عبد القادر الجيلالي. (1986). تاريخ الجزائر العام. الجزائر: دار الامة.
- علي تابايت. (2007). الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795-1796. الجزائر: وزارة الثقافة.
- فاتح بلعمري. (2016-2017). الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة. جامعة الامير عبد القادر. الجزائر.
- محمد بن سعيدان سعيدان. (2018-2019). التطورات الاقتصادية لإيالة الجزائر خلال القرن 11هـ/17م. جامعة سيدي بلعباس، (صفحة 165). الجزائر.
- يحي بوعزيز. (1985). علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830م). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.